طالب الرفاعي

شباب فرنسي في الكويت

29 يناير 2025 | 0 تعليق

«أن تأتي إلى الكويت، الدولة الغنية، بتذكرة مجانية وإقامة، في ظل الدراسة والدرس فهذا حلم كان يدور في رأسي».

هكذا صارحني أحد الطلبة الذين استضافهم «المركز الفرنسي للأبحاث في شبه الجزيرة العربية». بالنسبة لي، يبدو الأمر مختلفًا حين تجمعني جلسات المناقشة مع طلبة الماجستير ومن في مستواهم، وذلك في مضامين الأفكار وطريقة طرحها. ففي الأسبوع الماضي تلقيت دعوة كريمة من الصديق العزيز الدكتور مكرم عباس، مدير المركز الفرنسي للأبحاث في شبه الجزيرة العربية، للقاء يجمعني بطلبة فرنسيين، وهم يجيدون التحدّث باللغة العربية. جاءوا إلى الكويت بغية التواصل والتبادل مع الساحة الثقافية الكويتية في اللغة والآثار والمتاحف والكتابة والترجمة الإبداعية.

اجتمعنا في الدور الأول من مبنى المركز، وهو مبنى قديم وجميل تابع للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ويطلُّ على شاطئ البحر خلف قصر «دسمان». بنبرة خجِلة سألتني إحدى الطالبات: «في أغلب رواياتك المترجمة إلى الفرنسية يبدو الواقع الكويتي حاضرًا، فهل تستخدم الخيال والفانتازيا في كتاباتك؟».

«لا تستقيم كتابة من دون خيال، وأياً كانت الكتابة الواقعية فإنها بالضرورة تتشكل عبر خيال ولغة الكاتب لحظة الكتابة».

لفتَ نظري أن الطلبة يقيمون في أربع غرف في المركز نفسه الذي يدرسون فيه، بعيدًا عن مظاهر الفخفخة الزائدة، ولفتني أكثر التقاط الشباب لمجموعة من مفردات اللهجة الكويتية يرددونها في ما بينهم. وبما أدخل السرور إلى نفسي، وقلت لهم: «ستعودون إلى فرنسا ومعكم بعض كلمات كويتية».

«عدل». ردَّ عليَّ أحدهم، وقد لبس اللباس العربي، وحين سألته عن السبب، أجابني: «أنا فرنسي لكن أصولي ترجع إلى اليمن».

«من أين يأتي الإلهام للكاتب». سألني أحدهم وهو المترجم د. «جوليان سيبيلو-julien Sibileau»، الذي سبق له وقام بترجمة عمل للزميل الروائي هيثم بودي. ورددت عليه: «بالنسبة لي فإن معايشة واقع الحياة بوعي يقظ، وكذلك القراءات الأدبية والفلسفية العميقة، إضافة إلى السفر لمختلف البلدان، هذه العناصر الثلاثة ربما تشكّل مصدر الإلهام الأهم لأي كاتب»،

وجوه وهيئات الشابات والشباب أوحت لي بأنهم قدموا من بيئات مختلفة، لكن انسجامًا كبيرًا تغطّيه المودة كان سائرًا بينهم: «الكويت بلد يُحب!». همس أحدهم، وبرر: «الناس ودودون، ورائحة الماضي ما زالت حاضرة في مختلف الأمكنة التي زرناها». وتوقف لبرهة قبل أن يسألني: «درسنا في الجامعة ترجمة روايتك «ظل الشمس»، التي تسرد حكاية مُدرّس مصري جاء للعمل في الكويت، وانت موجود فيها باسمك الحقيقي كمهندس إنشائي، فهل هي سيرة ذاتية لك؟».

«كل كاتب يكتب عن نفسه وسيرته بدرجة أو بأخرى، لكني أكتب رواياتي وفق مدرسة الرواية الفرنسية «للتخييل الذاتي»، ولذا تجدني في أعمال كثيرة بسيرتي الذاتية الحقيقية مع أسرتي وأصدقائي».

التواجد بين الطلبة يُحرّك في قلبي متعة أعشقها، متعة النقاش الأدبي والكتاب وحياة طلاب العلم، امتدَّ لقاؤنا لأكثر من ساعة، وبدا واضحًا أن الأدب جسر محبة بين شعوب الأرض، وكان أن أخذنا صورة جماعية، وودّعتهم وفي نفسي شيءٌ من فرح خفي!

طالب الرفاعي